العولمة وآثارها على البلدان النامية

د.بوسيف ليلى
جامعة وهـران

تمهيد:

تعتبر العولمة الظاهرة التاريخية لنهاية القرن العشرين أو بداية القرن الواحد والعشرين، مثلما كانت القومية في الاقتصاد والسياسة والثقافة،هيالظاهرة لنهاية القرن التاسع وبداية القرن العشرين، فالبشرية لم تعرف طيلة تاريخها الطويل مثل هذه التحولات التكنولوجية والإعلامية والاقتصادية والسياسية والثقافية مثل التحولات التي تعرفها اليوم والتي أدت إلى الترابط العملي بين مختلف أجزائها ومختلف مناشطها، إذ هذا الارتباط المتعدد الميادين والنتائج هو الذي حول العولمة بالتالي إلى أكبر ظاهرة في تاريخ البشرية.

إنها دعوة إلى تبني إيديولوجية معينة تعبر عن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم فهي تعمل على تعميم نمط حضاري يخص بلد بعينه وهو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع.

باختصار هي سعي الشمال عن طريق تفوقه العلمي والتقني للسيطرة على الجنوب تربويا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا بدعوى مساعدته على

التنمية الشاملة وتحقيق العدالة في الاستثمار و الرفاه.فماهي العولمة؟ وماهي تحدياتها و آثارها؟

تعريف العولمة :

لقد أعطيت عدة تعاريف للعولمة، وإن اختلفت بعض الشيء في تحديدها أو بعض جوانبها وذلك بالنظر إلى المنطلق الذي عرفت على أساسه حيث كانت أولى التعاريف اقتصادية وبالتالي فالعولمة هي امتداد تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات لهذا الانكماش، كما اشار رونالدروبتونRobertson[1] فالعولمة، كما يعرفها البعض من الباحثين ليست فقط " التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة دون احتداد يذكر للحدود السياسية للدول ذات السيادة والانتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة أو دون الحاجة إلى إجراءات حكومية "[1] بل إنهانظام عالمي يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والابداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم"[(2)].

على حين عرّفها انكوني قيدن (Giddens) بأنها مرحلة جديدة من مراحل بروز وتطور الحداثة، تتكثّف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، بحيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل والخارج، ويتم فيها ربط المحلي والعالمي بروابط إقتصادية وسياسية وإنسانية[(3)]. وقد عرّفها مالكوم واترز (Watters M.)بأنها كل المستجدات والتطويرات التي تسعى لقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد[(4)].

أما يحيى اليحياوي في دراسته الجادة –العولمة الموعودة– " فعرّف العولمة أنها مجموع العوامل التي تجعل عددا متزايدا من السلع والخدمات يصمّم ويطوّر وينتج ويوزّع ويستهلك ويستصلح ويقيم وفق منطق عالمي دون أن يكون للبلد التي تمر فيه العمليات من قيمة كبرى تذكّر "[5]. ويضيف اليحياوي أنّ العولمة تعني الضحك على ذقون العالم الثالث ما دامت هذه الدول محكوما عليها بالخضوع للنظام العالمي الجديد الذي يكرّس الهيمنة والتبعية، وما دام الإقتصاد العالمي محكوم من طرف ثلاث مؤسسات دولية كبرى، وهي صندوق النقد الدولي، البنك العالمي، والمنظمة العالمية للتجارة، وهي كلها قنوات أرهقت كاهل العالم الثالث بمديونية ثقيلة وجعلته خاضعا للشمال ولمؤسساته وخاصة الهيمنة الأمريكية إلى درجة أن العولمة تعني أمركة العالم[6].

أما عبد الصبور فاضل، فيرى أنّ العولمة هي " مجموع العمليات التي تغطي الكوكب أو التي تتسع على مستوى العالم ومن ثمّة، فالعولمة لها بعد مكاني لأنّ السياسة والأنشطة الاجتماعية الأخرى أصبحت تبسّط واقعها على أنحاء المعمور، وساعد في ذلك التقدم الهائل وسائل الاتصال وقدرتها على اختراق الحدود من خلال الفضائيات التي حولت العالم إلى غرفة عالمية صغيرة بل إلى القرية العالمية "[7].

أما الباحث جون قراي (John Gray) يعرفها بأنها الانتشار العالمي للتكنولوجيات الحديثة في الإنتاج الصناعي والاتصالات من كل الأنواع عبر الحدود، في التجارة ورؤوس الأموال و الإنتاج والمعلومات[8].

هذه التعاريف توضح لنا النظرة الاستغلالية للشمال ولاسيما الدول المتخلفة اقتصاديا اجتماعيا تربويا سياسيا في إطار علاقة مقننة ومبررة بدعوى مساعدتها وبالتالي فالعولمة ليست فقطالتداخلالواضح، ومنخلالالشركاتالمتعددة الجنسيات(Lesmultinationales)،والمؤسسات الماليةوالاقتصادية الدوليةالأخرى،وذلكمنأمثال: البنكالدولي(Banque mondiale)، وصندوق النقد الدولي (FMI)، والمنظمة الدولية للتجارة (OMC)، ومجموعة السبعG.7 أو الثمانيG.8الأمور السياسية والاقتصادية والمال والتكنولوجيا والاتصال والاعلام...الخ.بل انها كذلك، وفي الوقت نفسه توجه ليبيرالي جديد (Néolibéralisme)، ومتصاعد نحو التنميط (Homogéneisation) لأشكال الاحساس والتفكير والذوق والاستهلاك.. على المستوى العالمي.[9]

إن ما يلفت النظر في مثل هذا التنميط هو أنه يتم دونما اعتبار ينكر للحلولالسياسية الوطنية، أو للانتماءات الثقافية،المحلية... بل ودون لجوء الى الاجراءات الحكومية الرسمية لتجسيده، ودون خوف كذلك وبالتالي من هذه لحكومات، خاصة حكومات العالم الثالث، على عرقلته..أو الحيلولة دون تحققه[10].

والعولمة ما كانت لتستطيع ذلك وغيره، إلا لأنها الثمرة المباشرة للعديد من الثورات الفكرية والدينية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، والاعلامية الناجحة التي كان الغرب الأوروبي ولا يزال منذ عهد نهضته وإلى اليوم ميدانها وصانعها.

لكل ذلك شكلت العولمة، وعكس غيرها من النماذج الاقتصادية والسياسية الأخرى خاصة الاشتراكية والشيوعية، ولأول مرة في تاريخ الإنسانية، أول نسق اقتصادي ومالي، وتكنولوجي، موحد على المستوى العالمي. كما شكلت العولمة كذلك الدليل الواضح الفاعليةالاقتصادية والعلمية والسياسية للفلسفة وللاديولوجية الرأسمالية (التي تعد الليبيرالية، والليبيراليةالجيدة امتداداتها الكبرى والشرعية)،عكستلكالفلسفات الاشتراكية والشيوعية.

ذلك ما تؤكده على أي حال التبعية المتزايدة للاقتصاد الوطني في مختلف أنحاء العالم، ومن ضمنه العالم الثالث، خاصة بعد انهيار المعسكر الاشتراكي وفشل نموذجه التنموي والاقتصادي والسياسي(1989).

كما يؤكده كذلك ذلك الاكتساح العالمي للنموذج الليبيرالي والليبيرالي الجديد، لمختلف المصالح والادارات، والخدمات والمعاملات والأسواق والاتصالات، فضلا عن مجالات التكوين والترفيه والاستهلاك، والنقل...الخ.

كما يؤكده أخيرا وليس آخرا، الدور المتزايد للشركات المتعددة الجنسيات في اقتصاديات كل الدول تقريبا، بما فيها، لا دول العالم فحسب بل تلك التي كانت وحتى وقت قريب تشكل قلاعا للاشتراكية (روسيا والصين)[11]

نشأة العولمة تاريخيا:

إنّ تتبع ونشأة وتطور العولمة يرتبط بالتقدم التكنولوجي والعلمي، فلولا هذا التقدم لما كان تبادل المعلومات والاحتكاك الثقافيالاقتصادي

وتشابه الخبرات والأنماط السلوكية، ويرتبط هذا التقدم بالتطورالزمني للحضارة الإنسانية والتي بدأت بالفلاحة والزراعة بأدوات الإنتاج البسيطة والتي انتشر استخدامها بين المجتمعات تدريجيا، بسبب التفاعل بين الشعوب وإن كان في شكل بسيط، ثم تطوّر المجتمع ودخل في عصر الثورة الصناعية وتطوّرت أدوات الإنتاج وأصبح هناك الآلات والمعدّات المتطوّرة وبدأ التطور التكنولوجي يأخذ صورة أكثر حداثة، وأصبح التفاعل بين الشعوب أكثر تطورا.

وفي ظل ذلك انتقل العالم إلى مرحلة أكثر تقدّما وهي مرحلة المعلوماتية أو ثورة المعلومات، فالعولمة لم تظهر فجأة، بل نتيجة تطورات عبر مراحل زمنية معيّنة بدأت منذ الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر واستمرت مع زيادة العلاقات والتفاعلات بين الدول، والتي ارتبطت كثافتها بالتقدم التكنولوجي والاتصالي منذ اختراع البوصلة وحتى الأقمار الصناعية وبروز شبكة الأنترنيت، بكل ما تحمله من مزايا للإنسان وما تقدمه له كوسيلةإتصال عبر كامل أنحاء العالم[12]. وأول تجليات العالمية كانت محاولة الإسكندر المقدوني في إقامة إمبراطورية عالمية بالوسيلة التي كانت متاحة في عصره والتي تعبر عن روح ذلك العصر (الفتوحات العسكرية) وتلاه في ذلك الرومان والعرب والملوك والعثمانيون وغيرهم بحسب التي أنشأها كل من هؤلاء من العالم فتوحيد العالم بالقوة العسكرية من أشكال العالمية بيد أن ذلك التوحيد كان تناقضيا فقد قسم اليونان العالم إلى عالمين، عالم اليونان وعالم البرابرة، عالم السادة وعالم العبيد، وكذلك فعل الرومان من دون أن يدركوا الصلة العميقة، صلة التبعية المتبادلة بين هذين العالمين.[13]

أمـا رولانـدروبيتون في دراسـة المهمـة، تخطـيط الوضـع الكـوني: العولمـة باعتبارهـا المفهـوم الرئيـسي: فقـد قـدّم لنـا المراحـل المتتابعـة الـتي تطـوّرت عبرهـا العولمة:[14]

المرحلة الأولى: الفترة الجنينية، وقد بدأت هذه الفترة في أوروبا مع بداية القرن الخامس عشر وحتى منتـصفالقرن الثـامن عـشر، وتعتـبر هـذه الفـترة مرحلة نمو المجتمعات القومية وإضـافة للقيـود الـتي كانـت سـائدة في القـرون الوسطى. كما تعمّقت الأفكار الخاصة بالفرد وبالإنسانية، حيث بـدأت فيهـا الجغرافيا الحديثة وشاع التقويم الغريغوري.

المرحلة الثانية: فترة النشوء، استمرت في أوروبا من منتـصف الثـامن عشر حتى عام 1870م، وهنا أخـذت المفـاهيم الخاصـة بالعلاقـات الدوليـة بالتبلور ونشأة مفهوما أكثر تحديدا للإنسانية، وزادت إلى حدّ كبير الاتفاقـات الدولية وبدأ الاهتمام بمفهوم القومية والعالمية والمجتمع الدولي والذي كـان في هذه المرحلة يعني الدول الأوروبيـة، وأصـبح التفاعـل في هـذه المرحلـة أكثـر تقدما بدليل ظهور مصطلح العلاقاتالدولية، وهنا كـان التفاعـل بـين الـدول بعضهم البعض أو بين الأفراد من خلال دولهم.

المرحلة الثالثة: فترة الانطلاق، حيث بدأت عام 1870م واستمرت إلى غاية العشرينات من القرن العشرين، وفيها ظهرت مفاهيم كونية مثـل " خط التطوّر الصحيح " و " المجتمع القومي المقبول "، كما نـشأت مفـاهيم تتعلـق بالهويات القومية الفردية، وتمّ في هذه المرحلة إدماج عدد من المجتمعـات غـير

الأوروبية في المجتمع الدولي، وبدأت عملية صياغة أفكار خاصة بالإنسانية " حقوق الإنسان " ومحاولةتطبيقها، كما حدث تطّر كبير في عدد وسرعة الأشكال الكونية بالاتصال، ونشأت في هذه المرحلة الحرب العالمية الأولى وعصبة الأمم.

المرحلة الرابعة: فترة الصراع من أجل الهيمنة، استمرت هذه المرحلة من العشرينيات حتى منتصف الستينات، حيث شهدت خلافات وحروب فكرية حول المفاهيم والمصطلحات الناشئة والمتعلقة بعملية العولمة، حيث بدأت مع مرحلة الانطلاق، كما شهدت هذه الفترة صراعات كونية حول أشكال وصور الحياة المختلفة، وفيها تم التركيز على حقوق الإنسان نتيجة حوادث الحرب التي تمّ فيها استعمال القنبلة الذرية على اليابان وبروز دور الأمم المتحدة.

المرحلة الخامسة: فترة عدم اليقين، بدأت هذه الفترة مع مطلع الستينات وأحدثتاتجاهات وأزمات في التسعينيات، كما أدت إلى إدماج العالم الثالث في المجتمع العالمين وتعمّقت فيها القيم ما بعد المادية. كما شهدت المرحلة نهاية الحرب الباردة، وانتشار الأسلحة النووية، وتوسّعت المؤسسات الكونية والحركات العالمية، وقد واجهت المجتمعات الإنسانية خلال هذه الفترة وما بعدها مشاكل عديدة منها تعدّد الثقافات وتعدّد السلالات داخل المجتمع الواحد، كما ظهرت الحقوق المدنية وأصبح النظام الدولي أكثر سيولة، حيث أصبحت معظم الشعوب تتغنّى بها، خاصة فيما يتعلق بحماية الأقليات في

إطار حقوق الإنسان، وانتهى النظام الثنائي وأصبح المجتمع المدني يحظى باهتمام بالغ[15].

بناءا على ما سبق يمكن القول بأنّ العولمة ليست فجائية، بل ظاهرة لها جذور وتطوّرت عبر المراحل الزمنية المختلفة ولها أبعادها السياسية، الاقتصادية، الثقافية والاجتماعية، تؤثر في جميع نواحي الحياة المختلفة، سواء على مستوى الفرد، أفكاره ومهاراته، أو على مستوى السلطة السياسية، وعلاقة الفرد بها أو على مستوى العالم.

مظاهر العولمة ومكوناتها:

تعد العولمة شكلا جديدا من أشكال الاستعمار الغربي الحديث الذي يستهدف من ورائها بسط نفوذه وهيمنته على الدول العربية الاسلامية وشعوبها وخيراتها وإمكاناتها الطبيعية والاقتصادية والمادية، ولا شك أن نظام العولمة قد فرض نفسه ووجوده وبسط نفوذه بفعل عوامل عدة ساعدت بذلك خاصة ما يتعلق بالوسائل التكنولوجية الحديثة مثل الأقمار وشبكة الأنترنيت والقنوات الفضائية والحواسيب إلى غير ذلك من وسائل الاتصال والتواصل المتعددة، فثورة المعلومات قد أعادت تعريف مفهوم القوة حيث أصبح امتلاك المعلومات وامتلاك التقنيات والأساليب الملائمة للتعامل معها، وأصبحت تمثل عنصرا هاما للقوة والتأثير على مستوى الدول أو على مستوى الكيانات الأخرى.

إن العولمة ظاهرة تتجسد في توحيد المنظومة المالية على صعيد عالمي ونشوء منظومتين جديدتين أولهما إعلامية واتصالية والثانية معلوماتية حتى تخضع جميع المجتمعات لحركة واحدة، وبالتالي فالعولمة تعني زيادة التفاعلات الدولية وزيادة الاعتماد بين الدول فهي العملية التي من خلالها تصبح شعوب العالم متصلة بعضها البعض في كل أوجه حياتها ثقافيا واقتصاديا. يقول هنتجتون مشكلة الغرب الخطيرة هي الإسلام، الثقافة المختلفة التي يقتنع أصحابها بتفوق ثقافتهم وقد ذكر أن الحل لاختراق هذه الثقافة إجراء حوار بين الحضارات وذلك لاحتواء الخلافات الموجودة بين الإسلام والثقافة الغربية.

ومن أهم هذه المكونات الأساسية للعولمة:

أ-إنهيار المعسكر الإشتراكي بأوروبا الشرقية، وتفكّك الإتحاد السوفياتي، وبالتالي نهاية نظام القطبية الثنائية (الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي) وظهور النظام العالمي الجديد القائم على أحادية القطب (و.م.أ).

ب- تزايد نفوذ الشركات المتعددة الجنسيات (Les sociétésmultinationales) التي تشكّل العمود الفقري للدول المتقدمة والفقر للدول الفاقدة له وهي الدول النامية أو التي تتوهم أنها كذلك، عبارة عن مؤسسات صناعية وتجارية، ومالية كبرى تعمل في الأسواق العالمية،

وذلك انطلاقا من المنافسة غير المتكافئة والشرسة، خاصة بالنسبة لدول العالم الثالث، وذلك وصولا إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح السريع.

ج- إنشاء منظمة التجارة العالمية التي تهدف إلى تحرير المبادلات عبر أرجاء العالم، ذلك ما يؤكّده على أي حال تطور حجم الإستثمارات المالية العالمية الخارجية التي وصل سنة 1996 إلى ما يقرب 3,233 مليار دولار أمريكي.

د- ثورة المعلوماتية وتطوّر وسائل الإعلام والاتصال (L'informatique et la communication) إنّ هذه الثورة المعلوماتية والاتصالية لهذه العشرية الأخيرة من هذا القرن، لم توطّد فقط الأسس الموضوعية والاقتصادية والتجارية والمالية والإنتاجية للعولمة، بل إنّها جعلت ومن خلال قضائها على المسافات بين مختلف أنحاء العالم الثقافات الوطنية، أكثر تبعية لثقافات الدول المتقدمة، وفي مقدمتها الثقافة الأمريكية الشمالية التي أصبحت بحق تشكل اليوم التجسيد العملي لهذه العولمة الثقافية الجديدة والهادفة إلى تنميط لا إلى توحيد أنماط التفكير والإحساس والسلوك والثقافات بين مختلفأبناء هذا العالم.

هـ-بروز ظاهرة القرية العالمية، وتقليص المسافات نتيجة لتطور وسائل النقل والمواصلات وزيادة الاحتكاك بالشعوب.

و- تدويل بعض المشكلات الاقتصادية مثل الفقر، التنمية المستدامة، السكان والتنمية، التنمية البشرية، التلوث وحماية البيئة والتوجه العالمي لتنسيق عمليات معالجة هذه المشكلات والتعاون في حلها[16].

التأثير على الدول النامية:

تفرض العولمة نفسها على الحياة المعاصرة، على العديد من المستويات، سياسيا واقتصاديا، فكريا وعلميا، وثقافيا وإعلاميا، تربويا وتعليميا، وهي بذلك من الموضوعات التي تحتاج معالجتها إلى قدر كبير من الفهم لعمقها وجوهرها، والإدراك لبعدها وغايتها والوقوف على ما تنطوي عليه السياسات التي تتحكّم فيها وتقودها وتتحمّس لها وتدعو إليها وتمهّد للتمكين لها بشتّى الطرق وبمختلف الوسائل.بل انه مما يزيد هذه العولمة خطورة وفرادة،إنها وبالرغم من جذورها الاستعمارية التي ظلت ضارية في العالم الثالث، وتمتص ثرواته، فإنها، وبعد التحرر السياسي لهذا الأخير في الستينات من القرن ومن الألفية الماضيين لاتزال تستنزف نفس ثروات العديد من بلدانه،دونما لجوء إلى القوة العسكرية ضده، كما كان الأمر في الماضي(بالنسبة للغرب الأوربي الاستعماري وبالنسبة للعديد من الشعوب الأخرى كذلك، التي كانت لها يوما سيطرة سياسية واقتصادية على غيرها من الشعوب الأخرى عن طريق العنف[17] .

فالعولمة اليوم تفرض نفسها دونما قوة عسكرية مباشرة في أغلب الأحيان. حتى لا نغفل الهجمات العسكرية المباشرة أو غير المباشرة التي قالتها

الولايات المتحدة الأمريكية رائدة هذه العولمة اليوم، على العديد من البلدان وهذا ابتداء منبانماPanama انتهاء بالعراق ومرورا بكل من نيكاراغوا والشيليLe Chili وغيرهم .إن هذه الحقائق، وغيرهاهي التي جعلت من العولمة ظاهرة، لا قبل لأحد، ومهما كانت مناوأته لها...على وقفها...فهي ظاهرة لا تعرف رجعةirréversible[18].

وإذا كان البعض خاصة من المناوئين للعولمة، وهم كثيرون، يرون فيها لا لاهوتا جيدا للرفاهيةولازدهار الإنسانية بل للفقر والتعاسة بالنسبة لأكثر من200 مليون من أبناء البشرية.فإن الحقيقة التي لا مجال لأحد للشكفيها هي تلك التي تؤكد أن العولمة بربطها للنمو الوطني La croissance بالتداخل الاقتصادي والمالي والتكنولوجي العالمي وذلك من خلال تلك الشركات المتعددة الجنسيات وتلك المؤسسات المالية والاقتصادية العالمية، التي سبقت الإشارةإلى البعض منها قد هزت الدولة الوطنية L'état-nationعامة، والدولة الوطنية في العالم الثالث، خاصة....وجعلت دورها السياسي الاقتصادي والمالي يتوارى تدريجيا أمام المعطيات السياسية والاقتصادية والمالية الجديدة لهذه العولمة[19]

أ) فعلى المستوى الاقتصادي والمالي، فإن الدولة، خاصة في العالم الثالث، ومن ضمنه العالم العربي والإسلامي وهى تعنينا هنا، أكثر من غيرها، لم تعد نتيجة لعولمة أسواق المال والاقتصاد والتجارة،السلطة الوحيدة المتحكمة في هذه القطاعات[20].

إن هذه الوضعية هي التي جعلت الدور الاجتماعي لهذه الدول يتراجع في العديد من القطاعات الحيوية بالنسبة للشعب، مثلالتغطية الاجتماعية والصحية والتعليم والتكوين والتشغيل. بذلك أصبحت كل إجراءاتها في هذه المجالات خاضعة لموافقة تلك الهيئات والمؤسسات خاصة بعد أن أغرقت هذه الأخيرة تلك الدول في الديون وحولتها إلى تابعة لها وإلى خادمة لمصالحها؛التي تصب كلها في دول المركز وليس في دول الهامش هذه .

ب) وعلى المستوى السياسي، فانه إذا كان من الطبيعي أن تؤدي تلك الوضعية الاقتصادية والمالية والتجارية المزرية لدول العالم الثالث، إلى تبعية اقتصادية شبه كاملة لتلك الشركات المتعددة الجنسيات ولتلك المؤسسات المالية والاقتصادية العالمية والتي تمثل مجتمعة أكثر من 90% من حركة الأموال والسلع في العالم، فإنه من الطبيعي كذلك أن تؤدي مثل هذه التبعية إلى تبعية سياسية لتلك الدول؛ وإلى فقدانها عمليا لسيادتها ولسيادة شعوبها.

بذلك فقدت تلك الدول حرية القرار السياسي بعد أن فقدت من قبل حرية وقدرة العمل على تمكين شعوبها من الرفاهية، ومن الكرامة ولم تزد التبعيات التكنولوجية، والغذائية والصحية...الخ هذه الوضعية إلا تفاقما بالنسبة لدول العالم الثالث.

لكل ذلك فإن العولمة إذا كانت قد أدت، بالنسبة لبعض الدول الأوربية، والغربية عامة، من بين ما أدتإلى ضعف الحس الاجتماعي والمدني، والى خلخلة المعتقدات الدينية وطمس المقدسات لدى الشعوب المسلمة

لصالح الفكرالمادي اللاديني الغربي أو إحلال الفلسفة المادية الغربية محل الفلسفة الإسلامية كما أدت إلى تغريب الإنسان وعزله عن قضاياه وهمومه الإسلامية ودفع العديد من مواطنيها خاصة الشباب الغارق في البؤس والبطالة إلى متاهات العنف والإرهاب والهجرة وبالتالي انعدام المساواة والتوازن شأن حقوق الإنسان.

فقد عملت العولمة أيضا على تذويب التراث والثقافة واللغة والهوية الوطنية بكل الوسائل وهي بالتالي تتناقض مع نظامنا الإسلامي والاجتماعي والأخلاقي حيث جاء في خطاب الرئيس بوش الابن عن حال الاتحاد اليهودي المسيحي في 29 يناير2002: " من الأفضل فصاعدا يحق للعالم تناول الخمر والتدخين، وممارسة الجنس السوي أو الشذوذ الجنسي بما في ذلك سفاح القربى واللواط والخيانة الزوجية والسلب والقتل وقيادة السيارات بسرعة جنونية ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية داخل فنادقهم أو غرف نومهم"[21].

بالإضافة إلى الأنترنيت (أكبر قوة دافعة للعولمة المدوية لصناعة الجنس والعنف)فهي هزيمة للتراث العربي الإسلامي وغيره، واجتثاث كل القيم الحامل والمجسد لها وصولا إلى محاصرة اللغة والهوية الوطنيتين والعربيتين، فقد فجرت العولمة أزمة الهوية في المجتمع العربي بدليل ما نشاهده من صراعات الهوية في لبنان والعراق، مصر، السودان، الصومال وسوريا... إلخ. فالبلاد العربية مهدد بحروب الهوية[22].

ومن هنا يتقلّص دور الحكومات في إصدار التشريعات داخل الدولة وممارسة سلطانها، ودليل ذلك ما جاء في خطاب الرئيس الفرنسي السابق، جان شيراك في 14 يوليوز 2004: " إنّ العولمة بحاجة إلى ضبط لأنّها تنتج شروخا اجتماعية كبيرة، وهي إن كانت عامل تقدّم، فهي تثير أيضا مخاطر جديّة ينبغي التفكير فيها جيدا ومن هذه المخاطر ثلاثة:

- أولا؛ أنها تزيد ظاهرة الإقصاء الاجتماعي.
- ثانيا؛ أنها تنمي الجريمة العالمية.
- ثالثا؛ أنها تهدّد أنظمتنا الاجتماعية."

ومن هنا يقرر "سمير أمين" أن هذا النوع من العولمة لا يمكن أن ينتج أي نوع من السلام أو القبول الاجتماعي، فهو نظام قائم على الانفجار المستمر إنفجارات وانتفاضات مستمرة، فسياسة إدارة الأزمات تتم إما من خلال التدخل العسكري المباشر، كما حدث في حرب الخليج الثانية أو من خلال تحريك القوة التي تؤدي إلى التخلص من نظم الدولة باسم الأثنية والدين واللامركزية لدرجة أن الهدف هو إدارة الأزمة من خلال ضرب النظم الحكومية، نظم الدولة وكسرها نهائيا وتفتيت المجتمعات لا نهاية لها على أسس أثينية و دينية وغيرها وسياسة إدارة الأزمة لها جانبان: اقتصادي يتمثل في أسعار الفائدة والديون الخارجية وجانب سياسي يتمثل في الاستغلال الواعي للقوى التي تؤدي إلى تفتيت نظم الدولة[23].

فالعولمة تشكل للبلدان النامية معاناة متزايدة وهي مجحفة بحقها لافتقارها إلى الإمكانيات التقنية والاقتصادية التي تؤهل هذه البلدان للدخول

في منافسة متكافئة مع مؤسسات الدول المتقدمة والشركات المتعددة الجنسيات الأمر الذي يهدد مجتمعات الدول النامية بمعيشة مأساوية وبمزيد من التأخر والتخلف فيما بعد هذا من جهة. ومن جهة أخرى هذا لا يمنع من أنها خيرة حينما تربط بين الحضارات والشعوب والبلدان متخطية العالم الجغرافي وجاعلة من العالم قرية صغيرةمحررة الإنسان من القيود بفضل انتشار الإعلام ووضع المعلومات في متناول كل فرد بما يتيح له الاطلاع على ما يجري في العالم وهو في بيته، فأصبحت ثقافات الشعوب مكشوفة ومنتشرة بسبب العولمة الاقتصادية والثقافية والاعلامية بشكل خاص. وكذلك تساعد عل تكريس حقوق الإنسان وتعزيزها وجعلها في صدارة العلاقات الدولية في مختلف المجالات.

خاتمة:

إنّ العولمة كمفهوم حديث وكظاهرةواسعة الانتشار لها تأثيرها على كافة جوانب الحياة، فهي مفهوم مركّب ويشمل العديد منالمستويات التحليلية.

فهي معركة ضد الهيمنة لمصلحة عدد محدود من الدول الكبرى والشركات الجشعة المتعددة القومية من أجل تحويل هذه العولمة العدوانية الشرسة إلى عولمة إنسانية تسودها المشروعية الدولية والتضامن العالمي والديموقراطية واحترام حقوق الدول جميعا في تنوع خصوصيتها الثقافية وهويتها القومية واختيار طرقها الخاصة للتنمية.

لهذا يجب التعامل مع هذا المفهوم بنوع من المرونة، فلا يمكن رفض العولمة وتجنّبها لأنّها تؤثر على كل الدولسواء رضيت أم لم ترض، ولأنها عملية تاريخية حتمية لم تظهر من فراغ، بل نتيجة تطورات عبر الزمن فنحن لا نستطيع الوقوف أمام نهر يتدفّق، وفي نفس الوقت من الصّعب الاستجابة إلى كل ما تقدّمه خاصة أننا غير مستعدّينسواء سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أن نخوض كل أبعادها وبالتالي، فمن المهم جدّا معرفة سلبيات هذه الظاهرة وإيجابياتها، والتعامل مع الإيجابيات وتجنّب السلبيات بقدر المستطاع، وهذا لا ينطبق على الأفراد فحسب، بل على الدول أيضا.

فالعولمة بخيرها وشرها قدر لا مفر منه ولن يستطيع أحد تغييبها دون توقف المعلومات التي سوف تؤدي إلى إحداث تغييرات في آفاق الوعي لدى الأفراد. فالعولمة حاضرة في كل الأرجاء وليس باستطاعتنا أن نغلق أبوابنا، فهي تتسلل إلينا عبر الأثير على شاشات التلفاز والفضائيات، نشاهدها ونلمسها في كل مكان، فنحن شركاء في هذا العالم فلابد أن نفرق بين التبعية المطلقة والتفاعل الحضاري.

الهوامش:

1- احمد عزة السيد : النظام الاقتصادي العالمي الجديد ، من حرب الأعصاب إلى حرب الاقتصاد ، مكتبة دار الفتح ، دمشق، 1993 ، ط1 ، ص 83

2-HammanaBoukari : Mondialisation et originalité culturelle, XXXéme Congrès de l'ASPLF, lib, J. Vrin, Paris, **2006**, P **100**

3- الميلاد زكي : المسألة الحضارية "كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص 25

4- حمدي مصطفى، العولمة: آثارها ومتطلباتها ضمن كتاب العولمة، الفرص والتحديات، إدارة البحوث والدراسات، أبو ظبي، 1997، ط1، ص 28.
5- نفسه، ص 28.
6- يحيى اليحياوي، العولمة الموعودة: قضايا، إشكالية في العولمة والسوق والتكنولوجيا، منشورات عكاظ ط1، 1999، ص 20.
7- نفس المرجع السابق، 20.
8- غليون برهان، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط2، 2002، ص 100.
9--فالح عبد الجبار: معنى العولمة، مجلة النهج، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي الاديولوجي، العدد 17، 1998، عمان- الأردن، ص97..
10- بوغزالة محمد الناصر: العولمة والتحديات المعاصرة، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، الجزء 37 رقم 23، 1999، الجزائر، ص49.
11- المرجع نفسه، ص50.
12- الميلاد زكي : المسألة الحضارية "كيف نبتكر مستقبلنا فى عالم متغير"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص32.
13-HammanaBoukhari : Mondialisation et Originalité culturelle, P 29.
14- غليون برهان، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط2، 2002، ص107.
15- Global culture:nationalism, Globalization and modernity, A theory, culture and society, 16-special issue, Edited byMiked Featherstone, (London, new bury park sage publications, 1990, pp. 15-30.
17 -Global culture: nationalism, Globalization and modernity, A theory, culture and society, 18-special issue, Edited by Miked Featherstone, (London, new bury park sage publications, 1990, pp. 35.
19-HammanaBoukhari : Mondialisation et Originalité culturelle, P 39.
- المرجع نفسه، ص40.20
21- غليون برهان، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط2، 2002، ص110.
22- أنظر مقال: الثقافة والسلطة في ظل العولمة، يوسف سلامة، ورقة عمل قدمت إلى ندوة العرب والنظام العالمي الجديد جامعة دمشق.
23- فالح عبد الجبار، معنى العولمة، ص99.24 - أنظر مقال: الثقافة والسلطة في ظل العولمة، يوسف سلامة، ورقة عمل قدمت إلى ندوة العرب والنظام العالمي الجديد، جامعة دمشق، 1997.